المحطة الخامسة من حياة الأب المؤسس الخوري أنطون زبوني
خدمة القس أنطون زبوني الكهنوتية في بغداد
الغيرة الرسولية/ 2

مع الظروف السياسية التي مر بها البلد وبسبب الإضطهادات خاصة في العهد المغولي، تهدمت الكنائس، وهرب المسيحيون منها إلى مناطق آمنة في شمالي العراق حتى جاء وقت لم يكن من المسيحيين في بغداد إلا نفرٌ قليل. في أواسط القرن السابع عشر عاد بعض المسيحيين إلى بغداد وكَثروا تدريجياً، وعمَّر الكلدان لهم كنيسة صغيرة في الميدان أولاً، ثم انتقلوا إلى أطراف الشورجة وسوق الغزل حيث قامت كنائس عديدة لمختلف الطوائف جنباً إلى جنب، حتى عُرِفَت المنطقة بآسم عقد النصارى.

في سنة 1889 قرر البطريرك إيليا الثاني عشر عبو اليونان تشييد كاتدرائية كبيرة للكلدان في بغداد، سميت بكاتدرائية أم الأحزان التي افتتحت وكُرِسَت سنة 1898. في تلك الفترة وما بعدها بدأ الناس يتوافدون على بغداد من كلِ حدبٍ وصوب بحثاً عن العمل والرزق الحلال، جاءوا من الموصل وقراها خاصة ونزلوا في بيوت صغيرة في سوق الغزل والعقود المجاورة، وكانوا يداومون باجتهاد كبير على الكنيسة...

مع بداية القرن العشرين كثروا هؤلاء الناس الوافدين وأصبحوا أضعاف البغداديين عدداً، وبدأ نوع من التمييز الطبقي والإجتماعي بين هؤلاء وأولئك. فالبغداديون ما كانوا يرتاحون إلى جلوس الوافدين جنباً إلى جنب في الكنيسة، وكانوا ينظرون إليهم نظرة متعالية، وشيئاً فشيئاً تدهورت العلاقات، فحدث الإنشقاق في وسط الجماعة الكلدانية في بغداد، وزُرعت التفرقة وحدثت احتكاكات كلامية بين الجانبين وتطورت إلى صدامات وإهانات وغيرها... ووصلت هذه الأخبار المؤلمة إلى غبطة البطريرك وهو في الموصل، فأرسل معاونه المطران اسطيفان جبري... وعاد إلى الموصل في شهر آيار 1914 تاركاً الجماعة في غليان وانقسم الكهنة العاملون في بغداد إلى هذه الجهة وتلك، فأرسل غبطته مطران ماردين مار اسرائيل أودود ومكث في بغداد سبعة أشهر فخفف من حدة الخلاف لكنه لم يتمكن من استئصاله. فقرر البطريرك بعد تفكير طويل أن يسحب كهنة بغداد ويرسل مجموعة من القسس الشباب المتحمسين للخدمة والتضحية وزرع روح الأخوة والمحبة. وهكذا انطلق القس أنطون زبوني، القس فيليبس شوريز، القس أنطونيوس الراهب والقس عمانوئيل رسام إلى بغداد بتاريخ 20 تشرين الأول 1916، وكانت تعليمات سيدنا البطريرك الأبوية واضحة ومفصلة، وألحَّ على القسس الأربعة بالإلتزام بها، وهذا نصها:

1. زيارة الجماعة بيتاً بيتاً باسم غبطته.
2. خدمة الكل على السواء دون تمييز بين أصيل ووافد.
3. التعاون فيما بينهم فالقوة بالإتحاد.

4. العمل الجماعي بروح واحد.
5. التعاون مع الإكليروس المحلي من الطوائف الأخرى.
6. المحافظة على إقامة الصلاة الطقسية يومياً صباحاً ومساءً.
7. المثابرة على الوعظ في الآحاد والمناسبات الدينية كافة.
8. تواجد أحد الكهنة دائماً –دورياً– في بيت الكهنة.
9. الإهتمام بالمدرسة لأنها تربي الأجيال الناشئة.
10. التعاون مع وكيل البيعة المهتم بالماديات.

وقسم غبطته المسؤوليات عليهم: فالأب شوريز بصفة وكيل عام للبطريرك، والأب أنطون زبوني بصفة مساعد له ويهتم بالروحيات، والأب عمانوئيل رسام لإدارة مدرسة الطائفة وأخيراً الأب أنطونيوس للسهر على إقامة الصلوات الطقسية صباحاً ومساءاً والتواجد المستمر في منبر الإعتراف.

عمل الكهنة القادمون إلى بغداد بنصائح أبي الطائفة فزاروا الجماعة كلها وهي آنذاك صغيرة وساكنة في بيوت متقاربة، ففرح المؤمنون بهذه البادرة الحسنة. وتجاوبت الجماعة معهم وعادوا تدريجياً إلى كنيستهم الأُم. فانتعشت الصلاة الطقسية وصارت تقام صباحاً ومساءاً ويشترك بها الشمامسة إلى جانب الكهنة ويحضرها عدد كبير من المؤمنين، ونجحت مدرسة الطائفة فازداد عدد طلابها وصار يُشار إليها بالبنان.

كان الأب أنطون ذو القلب الأبوي حساساً لمشاكل ومعاناة الناس وكان يتألم كثيراً لما يعاني الناس من الفقر والعوز والمشاكل المتنوعة. وكان حريصاً جداً على القيام بزيارة الجماعة ولقاء العوائل ومساندتهم وتشديد وتقوية إيمانهم وتعليمهم والحفاظ عليهم والدفاع عنهم. تميز دائماً بغيرة كبيرة لخلاص النفوس وقيادتها إلى الله، وجعلهم أكثر وعياً وإلتزاماً بإيمانهم كي تشعّ حياتهم نوراً. فكهنوته تميز بالمحبة المتقدة والغيرة المخلصة.

هذه الغيرة الرسولية الكهنوتية يشير إليها البابا فرنسيس لأهميتها في إعلان كلمة يسوع المسيح، ويحث على التأمل والإقتداء بغيرة بولس الرسول التي كانت حياته "معركة مليئة بالتجارب"، فقد عاشها "بين اضطهاد وآخر" ولكنه لم يستسلم. لقد واجه العديد من الصلبان ولكنه تابع مسيرته إلى الأمام، محدقا إلى الرب وسائرًا إلى الأمام، تدفعه غيرته الرسولية، دون أن يقبل أية مساومة، الحقيقة فقط وإلى الأمام معلنًا يسوع المسيح.. فالرب يريدنا أن نسير دائمًا إلى الأمام وألا نختبئ خلف حياة هادئة وهيكليات فانية.

ويضيف البابا قائلاً: "الغيرة الرسوليّة ليست مجرد حماس للسلطة، ولكنها شعور ودفع داخلي يطلبه الرب منا. الغيرة الرسوليّة التي تأتي من معرفتنا ولقائنا بيسوع المسيح. لقد التقى بولس بيسوع المسيح وعرفه

لكن ليس من خلال معرفة عقليّة علميّة بل بواسطة القلب وباللقاء الشخصي". وهذا ما دفع القديس بولس للسير إلى الأمام و"لإعلان يسوع دائمًا". لقد عانى السجن والضرب والآلام من أجل يسوع، وهذه نتائج البشارة بيسوع. لذلك لا يمكننا أن نفهم الغيرة الرسوليّة إلا في إطار الحب، فالغيرة الرسولية تحمل في داخلها نوعًا من الجنون، ذلك الجنون السليم الذي يدفع الإنسان للسير إلى الأمام لتحقيق دعوته بالرغم من الصعوبات التي قد تواجهه. فلننمي فينا روح الغيرة الرسوليّة لأنها مكون أساسي للرسالة والتبشير.